مساحة ود !

كلمة السر

وأنت في سن التعليم يقولون لك : هذا وقت الجد والعمل ، يجب أن تحصل على أعلى المؤهلات ، لتظفر بفرصة عمل جيدة ، وآنذاك تبدأ حياتك الحقة ، أما الآن فلا وقت للعب !

وحين تحصل على فرصة عمل طيبة يقولون لك : كافح ، واعرق ، لتحصل على مكانة مرموقة في عملك ، حيث تفتح الدنيا أبوابها لأهل القمة وحدهم ، أما الآن فلا وقت للراحة !

وتدخل الدنيا وفي يدك فتاة تحبها ، لايلبث همسها الساحر أن يتحول إلى هذه الكلمات : انظر كيف نضمن لأولادنا مستوى حياتنا ، علينا أن نبذل مزيدا من الجهد قبل أن نطمئن على مستقبلهم !

ودائما تبدو الحياة وكأنها تنقسم إلى « غايات » ، تبدل أقنعتها عند كل مرحلة ، و« وسائل » هي أشكال مختلفة من الجد والمعاناة ، لكن شيئا مختلفا يحدث وأنت في الأربعين ، فلأول مرة ينبعث الصوت من داخلك بوضوح : « أنت الآن في سن النبوة ، فهل وجدت رسالتك ؟ ما تعلمته في الماضي كان من كتبهم ، وماقمت بإنجازه كان وفق برامجهم ، فماذا تنتظر لتكون لك رؤيتك الخاصة ، وإنجازك الخاص الفريد ؟ وتشعر أنك على عتبات أقسى المراحل ، « غايات جديدة من صنعك ، ووسائل تحمل بصماتك » ميلاد جديد أنت فيه وحيد تماما ، بلا أب يعين ، ولا أم تحنو !

وتدرك في هذه المرحلة أنك لن تستطيع أن تكسر جدران هذه الوحدة إلا إذا عرفت كيف تنجز رؤيتك الخاصة من خلال الناس وبهم ، ويصبح السؤال الأعظم : كيف تكون معهم دون أن تفقد استقلالك الوليد ؟ أتكون الإجابة عن هذا السؤال هي كلمة السر إلى الحياة الحقة التي حدثوك عنها في بداية الرحلة ؟ بعض الناس ينكص أمام قسوة تحدي المرحلة ، وبعضهم يواصل لإنجاز المعادلة المتحدية ، وهؤلاء الذين يتاح لهم أن يروا من خلال هذه « المرحلة » كيف تسترد الحياة وحدتها العظمى ، وكيف تتلاشى المسافات بين الغايات والوسائل ، فيصبح للوسائل نبض الغايات ، ويصبح للغايات تحقق الوسائل وواقعيتها . يصبح الفكر هو خلاصة العمل ، ويصبح للعمل سحر اللعب ومتعته .. يمكن للمرء أن يقضي ساعات الانتظار بالروحية نفسها التي يعيش بها لحظات اللقاء . وان يتحمل الهزيمة دون أن يفقد كبرياءه ، وأن يعاني آلام الفقد دون أن يفقد الثقة بمن حوله .

وفي هذه اللحظة لن يسأل أحدهم في رعب : ماذا تركت لأولادي ؟ لأنه سيترك لهم « كلمة السر » في الحياة الحقة ، وفي أن هذه الحياة يمكن أن تبدأ من البداية ، من سن التعليم . □

أبو المعاطي أبو النجا